

# ما بين أوباما ونتنياهو أكبر من امتعاض... ربما تشهد العلاقات الأميركية - الإسرائيلية» بداية النهاية



## إعداد وترجمة: ليلى زيدان عبد الخالق

فعلها نتنياهو . على الأقل حتى الآن . وضرب عرض الحائط كل الاعتراضات والانتقادات التي توجه إليه ، وسيقصد الكونغرس الأميركي في آذار المقبل ليلقي خطابه العتيدي في شأن الملف النووي الإيراني .  
أوباما أكثر من متعاض غير متصرفات نتنياهو . وأرسل أكثر من رسالة مفادها أنّ نتنياهو مثير مرّحّ به . حتى الكونغرس ذاته ، هرب بطريقة ملتوية ، من استقبال «بيبي» . إذ أعلن عددٌ من السيناتورات عن «حجج غياب» عن جلسة الكونغرس تلك ، أشبه بتقرير طبي يحظر به تلميذ ليبرز غيابه عن المدرسة .  
قديماً ، قال أبو الطيّب المتنبّي شعراً :  
مَنْ يَهْرُ يَسْهُلُ الْهَوَاُ نَ عَلَيْهِ  
مَا لَجُرْحُ بِمَمْتِ إِيْلَامُ  
أي ما معناه أنّ من يستسهل الإهانة لا يشعر بها ولا يتأثر . وهذه هي حال نتنياهو اليوم . دولة من رئيسها حتى نوابها تعلن عدم رغبتها باستقبال أحدهم ، لكن هذا «الأحد» يصّر على زيارة هذه الدولة !  
في التقرير التالي ، جملة من المقالات التي تناولت الخطوة «الأخلاقية» لبنيامين نتنياهو ، وأثرها في العلاقات الأميركية - الإسرائيلية . ولم تخل هذه المقالات من انتقادات لاذعة تعرّض لها نتنياهو... وإن كان يستحقّ هذا وأكثر .

كذلك ، إذا كان نتنياهو يرغب - هو وسفيره الحالي في واشنطن رون ديرمر الذي نسّق لهذه المناورة مع بوبنر - بمعرفة عمق الإهانة التي تسببوا بها للرأي العام الأميركي ، فعليهم الاستماع إلى برنامج الأحد الحواري للمذيع المحافظ في محطة «فوكس نيوز» كريس والاس ، والذي لم يعوّدنا على انتقاد «إسرائيل» . والذي قال بجرأة في وصف زيارة «بيبي» إلى واشنطن التي أعلن عنها في 23 كانون الثاني الماضي : «كي أوضح الأمور - واسمحوا لي أن أقول - كم أنه خبيث هذا الأمر برّمته» ، فبعدما التقى وزير الخارجية الأميركي جون كيري بالسفير الإسرائيلي في الولايات المتحدة لساعتين الثلاثاء الماضي ، لم يتطرّق السفير رون ديرمر إلى أي أمر يتعلق بتفاوض نتنياهو معه والاتفاق على قدومه إلى واشنطن ، لا كي يقابل الرئيس ، بل ليتوجّه من فوراً إلى «كابيتول هيل» ويتحدث في جلسة مشتركة للكونغرس منتقداً سياسة رئيسنا . أوّذ أنّ اعترف : «إثني مصدوم» .

تخلّى أن حزب «العمال الإسرائيلي» دعا الرئيس أوباما إلى التحدث في جلسة برلمانية «إسرائيلية» «إسرائيلية» حيال إمكانية إعطاء «إسرائيل» مزيد من الوقت للمفاوضات مع إيران ، وأنه كان يشقّ لذلك كله مع السفير الأميركي في تل أبيب من وراء ظهر رئيس الوزراء «الإسرائيلي» . من المؤكّد أنّ «الإسرائيليين» كثيرين سيرون في هذا إهانة لزعيمهم المنتخب ديمقراطياً . ولقد استغثت عدداً من أصدقائي غير اليهود ، ممن يتابعون السياسة العالمية ، ويتعاطفون مع «إسرائيل» ، فصّحوا جميعهم بأن هذا لم يعجبهم . إنه لا يقلّ فقط من شأن رئيسنا ، بل يشير إلى قلّة احترامنا لنظامنا وحدودنا الدبلوماسية المرسومة والتي يُفترض بأنّ زعيم أجنبي احترامها وعدم تجاوزها .

لكننا ندرک تماماً كيف أن كل هذا قد حصل : نتنياهو ؛ سفيره ؛ والرئيس السابق اللوي «الإسرائيلي» - أيباك - شيلدون أدلسون ، المانح الأكبر لـ«بيبي» والحزب الجمهوري ؛ وبوبنر ، يعيشون جميعاً في قلب قفاعتهم الخاصة بهم . أي أنه لا يوجد معهم أحد هناك يمكن له أن يخبرهم بما يلي : «بيبي» إن هذا الخطاب أمام الكونغرس قبل أسبوعين من الانتخابات قد يرفع من مستوى الأبرتاليين عند داعيمك الإسرائيليين ليوم واحد فقط ، غير أنه سيكون مبرراً إذا ما استخدمت الكونغرس الأميركي كخلفية علنية لحملتك الانتخابية . سيكون عدد من أصدقاء إسرائيل غير مرتاحين ، كذلك مناضئ السامية ، الذين تدعى إسرائيل سيطرتهم على واشنطن ، سيكون لهؤلاء كلمة يقولونها في هذا اليوم .

وكرّد فعل حقيقيّ على هذه المناورة ، تضامن عشرة ديمقراطيين في مجلس الشيوخ ممن كانوا قد وافقوا على فرض المزيد من الضرائب على إيران . مع الجمهوريين ، ومخوفاً البلب الأبيض مهله شيرين لتتأكد ممّا إذا كانت المفاوضات تعمل حقيقة . إنه عكس ما يتوقعه نتنياهو ، لكنه يظهر - بوضوح - مدى غضب الديمقراطيين .

لا يكفي القول إن الواقع فحّ وغير صحیح . فبالنسبة إلى القائد «الإسرائيلي» ، سيكون من الواضح أنّ وقوفه مع الجمهوريين ضدّ رئيس ديمقراطي ، أمر متسرّع ومتهور . «إسرائيل» والمدافعون عنها محاصرون في جميع جامعات أميركا ، إذ من المعتاد أن تعرّض إدارات الجامعات إلى ضغوط لسحب استثماراتها من الشركات التي تتعامل مع «إسرائيل» . ويبدو أن هذه الأخيرة محتاجة إلى دعم أوسع من الكونغرس أو من مجرد حزب واحد .

لا تخلو مخاوف نتنياهو من إيران من بعض الحقيقة . غير أنّ هذه العدائية لا تخلو أيضاً من بعض المسؤولية التي يمكن أن تُلقى على عاتق «إسرائيل» . وإذا ما أراد الكونغرس التعرّف إلى وجهة نظر «إسرائيل» ، ما يخضّ العلاقة مع إيران ، فعليها أيضاً أن تدعو كبار ضباط الجيش والاستخبارات «الإسرائيلية» ، الحاليين والمتقاعدين ، الذين يفصحون عن مواقف عدائية على أنهم ضدّ استخدام نتنياهو تهديد القوات مع إيران . إذ ، لم تراناً تقف بصد وجهته نظر «إسرائيلية» واحدة؟ كيف يمكن أن يُفسر هذا وفقاً للمصالح الأميركية؟  
لا زال أشك في إمكانية توصيل الولايات المتحدة وإيران إلى عقد صفقة من شأنها نزع فتيل أزمة برنامج إيران للأسلحة النووية . مثل هذا الفشل سيكون جادا للغاية ، وقد ينتهي يوماً ، إذا ما قرّرت الولايات المتحدة استخدام القوة العسكرية لكبح جماح إيران في شأن برنامجها النووي . نحن لا نحدّد أبداً فكرة تخصيب إيران قبلتها نوية تشجع على سياق تسليح نووي في منطقة شرق أوسطية غير مستقرة . لكن ، حتى لو كنا سنستخدم القوة ، فإن فرص النجاح غير مؤكدة ، كما لا يمكن التنبؤ بردود الفعل السلبية . لهذا ، فإنه ليس من مصلحة «إسرائيل» أن تظهر أدنى اهتمام بملفها إلى الإعزاز للولايات المتحدة لاتخاذ مثل هذا القرار العسكري . على «إسرائيل» أن تتقي بعيدة ملايين الأميال عن قرار كهذا ، أخذة بالاعتبار أن الأمر برّمته شأن أميركي فقط . لأنه ، لو كان علينا توجيه ضربة إلى إيران ، سيكون أميركيون قليون غير سعداء . وإذا ما فشلت هذه الضربة ، فسكون عواقب وخيمة ورهيبة علينا وعلى جيشنا ، وسيكون - حينذاك - عددٌ من الأميركيين أيضاً غير سعداء . وقد يسأل البعض : «كيف أقمنا أنفسنا في مثل هذه الفوضى؟» ، وأوّل ما قد يتبادر إلى ذهنهم : خطاب نتنياهو في الكونغرس .

لم تخاطر «إسرائيل» بوضع نفسها في موقف كهذا؟ إنها مجرد كذبة بسيطة ، سيد نتنياهو ، لتدخل في حياتنا السياسية ، ولتدع مهمة استخلاص النتائج للإدارة الأميركية نفسها .

كلّاً ، ضحايا نتنياهو هم أولئك الذين يقدّمون أنفسهم باعتبارهم أصدقاء له : زعماء منظمات على شاكله «أيباك» ، الهيئة ضدّ التشهير واللجنة اليهودية الأميركية . خطاب نتنياهو المقرّر في الكونغرس ، هو فقط الخطوة الأخيرة في مسلسل الذي ذلك . هو يدّمّر المؤسسة اليهودية الأميركية القديمة ، ويبني مكانها مؤسسة جديدة . المؤسسة اليهودية القديمة قامت على التقريب بين الطريقة التي ينظر فيها يهود الأميركيون إلى الولايات المتحدة الأميركية ، وبين الطريقة التي ينظرون فيها إلى «إسرائيل» . ففي الولايات المتحدة تعمل الهيئة ضدّ التشهير على محاربة التعصب وضيق الأقف بكافة أشكاله ، وتدافع عن القيم الديمقراطية وحقوق المواطنة للجميع ، اللجنة اليهودية الأميركية تهتم بحقوق الإنسان والقيم الديمقراطية . كلا ، المنظمات تعملان أيضاً لضمان حق التصويت للجميع ، وحقوق المثليين ومنح المواطنة للمهاجرين غير المسجلين .

حتى «أيباك» ، والتي لا تدعم النظام الليبرالي في الولايات المتحدة ، تأسست بشكل أساسي على أكتاف أشخاص يدعمون الليبرالية في الولايات المتحدة ، وفي الإجمال ، فإن 90 في المئة من يهود الولايات المتحدة يؤيدون حق المرأة في الاجهاض ، وعدد المصوّتين في أوساطهم للحزب الديمقراطي يصل تقريبا إلى ضعف المصوّتين للحزب الجمهوري ، ولكن في ما يتعلق بـ«إسرائيل» ، يبدو أنّ المؤسسة اليهودية في أميركا فقدت حماسها لحقوق الإنسان والقيم الديمقراطية . فلم يحدث أبداً أن وّجه نقد علني لـ«إسرائيل» على أنها تعصب حقوق ملايين الفلسطينيين في الضفة .

ومع مرور السنوات ، تزايدت الصعوبات في الحفاظ على ازواجية النظرة الأخلاقية هذه . الشبان اليهود الأميركيون - باستثناء المتدينين - هم الآن أقلّ تعصبا قليلا مما كانوا عليه في السابق ، وما عادوا يشعرون بالخوف كما شعر سابقوهم ، وهم أقلّ ميلا إلى إعفاء «إسرائيل» من الالتزام بالتطلعات الكونية التي تعلى حقوق الإنسان ، والتي وفقا لها ينظرون إلى وطنهم .

التغيرات بين الأجيال تضع الصعوبات أمام المنظمات اليهودية العريقة . ونتنياهو يساهم في زيادة الصعوبة . المؤسسة اليهودية الأميركية تعمل على توليد شعور الراحة لدى اليهود الديمقراطي عندما يدعمون «إسرائيل» . ولكن من الصعب جداً فعل ذلك عندما يقوم رئيس وزراء «إسرائيل» بالتعاون مع الجمهوريين ضدّ الرئيس الديمقراطي . عندما يضطر اليهود الأميركيون للاختيار بين أوباما وبين نتنياهو . هذا ما يؤدي إلى إضعاف المنظمات اليهودية ، والتي تأسست على فرضية أنّ في إمكان اليهود دعمها .

نتنياهو ليس الوحيد الذي يؤيد الجمهوريين ، الآن تقام بنية يهودية جديدة تحيط به ، يتم التحكم بها من قبل الجمهوريين وتضّم الأنتلاف اليهودي الجمهوري ومنظمة صهيونتي أميركا ، وفي مركز هذه البنية راعي نتنياهو ، شيلدون أدلسون . في حين أنّ المؤسسة اليهودية القديمة في المقابل تعمل على دعم سياسات «إسرائيل» ، اللاتسامحية . وفي الوقت نفسه تشجع التسامح داخل الولايات المتحدة ، المؤسسة اليهودية - أميركية الجديدة هي إسلاموفوبيا مكتشفة . أدلسون على سبيل المثال قال إنّ المسلمين يريدون قتل كل اليهود .

على النقيض من المؤسسة اليهودية القديمة ، والتي تستند على اليهود الديمقراطي ، المؤسسة اليهودية الجديدة تعمل على إقصائهم . في اجتماع احتفالي أقيم عام 2014 قدمت منظمة صهيونية أميركية جائزة شرف لتيد كروز ، وكانت في عام 2013 قد فعلت ذلك مع ميشيل بيكمان ومايك هاكي - وجميعهم سياسيون مقوفون من قبل اليهود الأميركيين . وفي الواقع ، يحتفظ اليهود الأميركيون من أدلسون بنسبة ثلاثة إلى واحد . ووفقاً لاستبيان أجري مؤخراً بواسطة «جي ستريت» .

التقريب الأخلاقي هذا ، والذي شكّل خلال سنوات ، القاعدة للحياة اليهودية المختلفة في أميركا ، يتلاشى بالتدرج . اليهود الأميركيون الليبراليون تتزايد لديهم الانتقادات والملاحظات على سياسة «إسرائيل» أما اليهود الأميركيون الذين يدعمون سياسات «إسرائيل» ، بلا تحفظ ، فيتزايد لديهم التأييد للنظام اللائبرالي في الولايات المتحدة .

هذه هي ، بين أشياء أخرى ، تركة نتنياهو في الولايات المتحدة : هو يقوّي اليمين اليهودي كما يقوّي اليسار اليهودي ، أما ضحاياهم ، فهم أولئك الذين يعيشون في الوسط .

### غلطة شنيعة

كتب توماس فريمان المتخصص في العلاقات الخارجية والدولية والتكنولوجيا :  
إن قرار رئيس الوزراء «الإسرائيلي» بنيامين نتنياهو ورئيس مجلس النواب جون بوينر الذهاب إلى الكونغرس لمحاسبة الولايات المتحدة على إمكانية عقدها صفقة مع إيران ، قرآن فحّ ، متهورٌ ، وخطر للغاية على مستوى العلاقات الأميركية - الإسرائيلية» . وإذا كان نتنياهو يرغب بسماع نصيحة جيدة ، فليجدر به الاستماع إلى نصيحة سفيره السابق في الولايات المتحدة مايكل أورين ، الذي نقل عنه قوله «إنّ هذه المناورة برمتها تخلّق انطباعاً سياسياً سائراً من قبل الأميركيين وقد تؤدي كافة محاولاتنا ضدّ إيران» . فضلاً عن أنه حتّ نتنياهو على ضرورة إلغاء هذا الخطاب .

في ضوء خطابه الذي يعتزم إلقاءه في الكونغرس ، أخبرهم شابيرو عن غضب البيت الأبيض من نتنياهو بسبب خدعته المطبوخة مع رئيس الحزب الجمهوري : ومن فقدان تام للثقة بالسفير «الإسرائيلي» في واشنطن رون ديرمر : ولأنّ الخطر لذلك على العلاقات بين إدارة أوباما وحكومة نتنياهو المستقبلية .  
ونقل مصدر مطلع عن شابيرو قوله : «سيكون لكل هذا ثمن ما ، في نهاية المطاف» .

إنه ليس فقط البيت الأبيض ، فالمتمدّث باسم «الكنيست» بولي أدلشتاين ، الذي زار «كابيتول هيل» الأسبوع الماضي ، كان مصدوماً بسبب عمق الغضب الذي لمسّه هناك . فقد التقى أعضاء الكونغرس الديمقراطيون - ممن يعتبرون أصدقاء أوفياء لـ«إسرائيل» - ويشعرون بأنّ رئيس الوزراء «الإسرائيلي» قد خدعهم وأصابهم في الصميم . يقول أدلشتاين : «لم المس في حياتي مثل هذا التشخّص ، حتى أثناء قدومي منذ سنوات قليلة مضت للتحادث مع أعضاء الكونغرس في شأن إطلاق سراح جوناثان بولارد» . (وهو جاسوس «إسرائيلي» ومحلل استخباراتي مدني سابق في القوات البحرية الأميركية) .

ولا يرتبط الموقف هذا بالديمقراطيين فقط ، إنهم أيضاً الجمهوريون الذين امتعضوا من منورة نتنياهو ، حتى لو كان موقفهم السياسي يمنعهم من المجاهرة برأيهم هذا . فأحد القادة اليهود الأميركيين القريبين من نتنياهو ، مثل آيب فوكسمان - كان قد شجّع نتنياهو الأسبوع الماضي على إلغاء خطابه ، الذي يعتقد أنه سيوصلهم إلى حال من الندم لا رجوع عنها .

إعلان نائب الرئيس جو بايدن عدم متكّنه من حضور جلسة الكونغرس المرتقبة ، هو ما يعتبره الأميركيون «مسألة كبرى» ، فقد يكون بايدين الصديق المفضل لنتنياهو في الإدارة الأميركية . وإذا كان مقعده خاوياً أثناء خطاب نتنياهو ، فسيتشكل هذا رسالة مؤدية ، ويحفّز عدداً من الديمقراطيون أن يحدّوا خذو .

وكما كان وضع أمين عام حزب الله حسن نصر الله بعد حرب لبنان الثانية عام 2006... فإذا كان نتنياهو يدرك جيدا ما الذي يحدث ، فإن هذه الفكرة سيعاد صوغها من جديد ، وأنّ عليه القيام بالأمر الصائب ، أي إلغاء خطبته تلك . غير أنّ الإذلال المعنوي والدمار السياسي الذي قد يلحق به من جراء عملية الإلغاء هذه ، تجعله يصّر على موقفه ويقرّر أنه سيكمل في انتحاج هذا السلوك حتى النهاية .

والخبر الحقيقي السريّ ، أنه حتى في حال إلغاء هذا الخطاب ، فإن الضرر الذي لحق بالعلاقات الأميركية - الإسرائيلية» أصعب من أن يعمل على إصلاحه . فقد قاد حزب «الليهود» برئاسة نتنياهو مؤخراً ، حملة فيديو هزلية ، تظهر رئيسها متحدثاً على الهاتف مع الرئيس الأميركي . والفكرة المضحكة في هذا الفيديو ، أنّ نتنياهو لن يتصل بالرئيس الأميركي طالما أن باراك أوباما سيبقى جالساً على الكرسي هناك على ذلك المقعد في البيت الأبيض .

وعلى رغم ادّعاء نتنياهو أنّ خطابه المنظر في الكونغرس سيكون متمحوراً حول التهديد النووي الإيراني ، فإن سلوكه في الأسابيع القليلة الماضية قد تسبّب بأضرار أبعد من أن تحصى في الجهود الدولية لوقف هذا المشروع . وفي مثل هذه اللحظة الحرجة من المفاوضات ، وفي الوقت الذي يُفترض أن يكون فيه التنسيق بين الولايات المتحدة و«إسرائيل» في حالاته القصوى ، نجد أنّ العلاقات بين الرئيس الأميركي ورئيس الوزراء «الإسرائيلي» تصل إلى مستوى متجمّد من البرودة لم تشهد له مثيل في تاريخها .

حوّلت هذه الأزمة بين واشنطن والقدس ، تصويب الاهتمام على الأهداف الحقيقية : التوصل إلى اتفاق تمنع إيران من الاستثمار بتصنيع أسلحتها النووية . والمشكلة أنّ هذه النتائج لم تضرّ فقط بكمائة «إسرائيل» في أميركا والعالم ، بل جعلت إيران تعتقد أنها تنحصر وسط كل هذه الفوضى!

وبغير علم منه ، أصبح نتنياهو سلاح الإيرانيين السريّ . ولو لم يكن موجوداً ، لكأنّ على الإيرانيين اختراعه . فتمديد التحالف الاستراتيجي مع أميركا سيشكل تهديداً حقيقياً لوجود «إسرائيل» ، لكنه إلى الآن ، بفضل ترك الأرض في واشنطن شبه محروقة من أن يعمل على إيقاف أجهزة الطرد المركزي الإيرانية . وفي مثل هذه الحال ، لا يسع القادة الإيرانيين سوى الاسترخاء أمام شاشة التلفاز ، أكل البوشار والاستمتاع بالضحك على ما يشاهدونه .

### دفع اليهود

إلى أعضا الجمهوريين  
وكتب بيتر بايرت في «هارتس» :  
من هم ضحايا نتنياهو في الولايات المتحدة؟ ليس باراك أوباما ، فعلى رغم جهود نتنياهو المتواصلة ، ما زال أوباما يحفظ بوظيفته ، وما زال محبوباً لدى أكرية يهود الولايات المتحدة . كذلك فإن نشاطه اليسار ممن يعارضون دولة يهودية آياً كان طابعها» ليسوا ضحايا نتنياهو ، فجنونه الاستيطاني بالنسبة إليهم كثر مساند . نحن مضطرون لمنح الاعتماد لنتنياهو» هذا ما قاله عمر برغوفي ، أحد نشطاء (BDS) في كانون الأول الماضي ، «من دونه لم تكن لنحقق إنجازاتنا الكثيرة» .

